**من أدب الغرباء**

**ملامح من ادب المحنة**

**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء**

**حصاد المشانق**

**خلف القضبان فى كل مكان عاش الغرباء وعلى المشانق فى أكثر من مكان التقت أرواحهم بربها وغلى الطريق تركوا علامات بارزة اقوى من الزمن واكبر من الطغاة ووسط الأهوال والشدائد انشدوها شعرا وعبروا عنها نثراً ومن حصاد المشانق في كل مكان تنشر الدعوة أشعار الغرباء ومساطره الغرباء نبضات قلوب وملامح خلود**

**ولقد تخطى الإسلام في مصر مرحلة من البلاء والتمحيص في هذا العقد من الزمان وخلص منها كأشد ما يكون البنيان متانة وقوة وشدة فاستحالت المحنة بإصرار الإيمان وثبات المؤمنين إلى منحة صفت فيها النفوس وسمت وسمقت إلى رحاب الله وتشربت روح العقيدة فنزلت عليها ويلات العذاب بردا وسلاما**

**وكان حتما مقضيا إن تفصح صدور الإخوان ما تكنه من مشاعر وأحاسيس متباينة النزعات مختلفة المشارب وان تتوسل إلى ما تصبو إليه بالتعبير عن محنتها بأصدق ما عبر به الإنسان وأوله وهو الشعر**

**نعم لقد وجدنا شعر المحنة وأدبها في قوة القضبان والتمسنا ريحها فالفيناء ريح مسك قد عبقت به اجداث الشهداء وارتاينا ديباحها فلمسناها من اعواد المشانق وصوت الرصاص**

**تجاوبا براقا وبتصلب ها اتصالا لا صنعة فيه ولا تكلف ويبثها شجونه ولواعجه ويقضى عنها بما لزم وصدق ويتلقى منها يد العون باذنه تعالى – ويتملى جمالها الفياض الالهى فينطلق شعراؤنا الثلاثة إلى مشكاة الطبيعة ونورها الخلاب ويختلفون في هذا الانطلاق**

**أما الشهيد هاشم الرفاعى فيرينا كيف ملكت الطبيعة المؤمن الشاعر فما يذكرها في رسالته لأبيه وهو بين جدران السجن وليلته هي ليلة تنفيذ الإعدام**

**أبتاه إن طلع الصبح على الدنا**

**وأضاء نور الشمس كل مكان**

**واستقبل العصفور بين غصونه**

**يوما جديداً مشرق الألوان**

**وسمعت أنغام التفاؤل ثرة**

**تجرى على فم بائع الألبان**

**بينما انتحى ذو النون منحى أخر بثه خالصة لواعجه ونباضته :**

**كم قال صحبى اين غر قصائدى**

**تشجى القلوب بلحنها المحزون**

**وتجدد الذكرى الاليمة للورى**

**تترى على الاجيال بعد قرون**

**ما حيلتى والشعر فيض خواطر**

**مادمت ابقيه ولا يبغينى**

**واليوم عاودنى الملاك فهزنى**

**طربا إلى الإنشاد والتلحين**

**أما ثالث الثلاثة فهو الشهيد سيد ق\ب فقد عبر عن منهله الأول بالحرية الربانية**

**آخى أنت حر وراء السدود**

**آخى أنت حر بتلك القيود**

**فما دمت بالله مستعصما**

**فماذا يضيرك كيد العبيد**

**والإنسان المسلم يتجاوب مع الطبيعة عبر شعراء المحنة أول ما عبروا عن وحدة المنبع وصفاته وعذوبته الرقراقة وجاءوا بما يثبت تشبثهم بأهداب العقيدة وارخاصهم لأنفسهم في هذا السبيل ولكنهم سلكوا في إتمام هذه الغاية النبيلة طرائق عدة فأما الشهيد الرفاعى فقد صرح تصريحا بدستورية القرآن لحياته وأنه السلوك في حلك الظلام والطريق في متاهات الضلال وبهم الضياع يقول في رسالة ليلة التنفيذ ...**

**الليل من حولي هدوء قاتل**

**والذكريات نمور في وجداني**

**ويهزني الم فانشد راحتي**

**في بضع آيات من القرآن**

**والنفس بين جوانحي شفافة**

**دب الخشوع بها فهز كياني**

**ما زلت أؤمن بالإله ولم أنق**

**إلا أخيرا لذة الإيمان**

**وأخ يدق كما تعود بابنا**

**سيدق باب السجن جلادان**

**واكون بعد هنيهة متأرجحــا**

**فى الحبل مشدودا إلى العيدان**

**ليكن عزاؤك إن هذا الحبل**

**ما صنعته في هذى الربوع يدان**

**وذو النون يشرك صور الحياة الطبيعية في مأساة الشهيد بل هي تشاركه في محنته وتتجاوب أصداء الشاعر مع هذه المشاركة فيخلد هذه المشاركة الوجدانية الحقيقية:**

**سحقا للجزارين كم تبحوا فتى**

**مستهترين كأنه ابن لبون**

**فاذا قضى ذهبوا بجثته الى تل**

**المقطم وهو غير بطين**

**لفوه في ثوب الدجى وتسللوا**

**سارين بين مقاوز وحزون**

**واروه ثم محوا معالم رمسه**

**فغدا كسر في الثرى مكنونا**

**أخفوه عن عين الانام**

**وماروا أن الإله يراهم بعيون**

**الليل يشهد والكواكب والثرى**

**وكفى بهم شهداء يوما الدين**

**إن ذو النون وهو يتمثل فصول المأساة المريعة إمامه لا يجد غير الطبيعة شاهد اتهام قوى يدين تلك الروح البشعة التعسة التي تتجلى في أفظع صور القتل والفتك والتصفية الجسدية لرعيل الحركة الإسلامية إما الطبيعة عند شهيدتا سيد قطب فقد وقف يناغى الإخوان عن هذه المشاركة التي استحالت إلى تعبير إنسان حي :**

**آخى هل سمعت أنين التراب**

**تدق حصاه جيوش الخراب**

**تمزق أحشاءه بالحراب**

**وتضعه وهو صلب عتيد**

**إن التراب هنا عند سيد قطب يمثل القوة والصمود والإصرار انه يمثل يسارية الدعاة في رمضاء الطغيان ونيرانهم المسحورة وأخاديدهم الموفورة**

**ومثلما تجاوب الشهداء الثلاثة مع صور الطبيعة كان جريا بهم أن يتصلوا بحياة الناس وان يصدقوهم حقيقة مشاعرهم إزاء هذه الإحداث الجسام وأن يربتوا على أكتاف أبائهم وأمهاتهم وينفخوا فيهم روح الصبر والثبات والأنفة والصعود**

**أما سيد قطب فقد وجه بروحه المستعلية وإيمانه الجهادي الفذ صوته إلى كل أخ**

**آخى إن ذرفت على الدموع**

**وبللت قبري بها في خشوع**

**فأوقد لهم من رفاتي الشموع**

**وسيروا به نحو مجد تلبد**

**آخى إن نمت تلق أحبابنا**

**فجنات ربى أعدت لنا**

**وأطيارها رفرفت حولنا**

**فطوبى لنا في ديار الخلود**

**آخى سر ولا تلتفت للوراء**

**طريقك قد خضبته دماء**

**ولا تلتفت ها هما أو هناك**

**ولا تتطلع لغير السماء**

**فلسنا يطير مهيض الجناح**

**ولن نستذل ولن تستباح**

**واني لا سمع صوت الدماء**

**قويا ينادى الكفاح الكفاح**

**ولنعد الان لشاعرينا الاولين لنر خطاباتهم المؤثرة الى ( الام ) تلك الروح الحبيبة الرقراقة – تلك المتفجعة الوجلة الواجفة على ابنائها فأما ذو النون فقد اتخذ اسلوب المواساة والتطمين الواثق بقدرة الله برواء جنته وعليائه السامقة**

**ليست المقصود استيعاب ابيات القصيدة وانما التمثيل لما نحن بصدده من مختارتها**

**قولوا لاتنوحى واصبري**

**إنا عند خالقي الذي يهديني**

**انا إن حرمت وداعكم لجنازتي**

**فملائكة الرحمن لم يدعوني**

**وان لم يصل على في الأرض امرئ**

**حسبي صلاتهموا بعليين**

**انأ في جوار المصطفى وصحابه**

**احظي بأجر ليس بالمنون**

**انا فى الفردوس اقفز شاديا**

**جذلان كالعصفور بين غصون**

**ولداتها فى خدمتى وثمارها فى قبضتى**

**ونعيمهـــــــــأ بدعونى**

**واذ حرمت العرس فى الدنيا فلى**

**ماشئت فيها من حسان عين**

**أما حسبك أن أموت معذبا**

**في الله لا في شهوة ومجون**

**ما خنت دينيا أو حماي ولم أكن**

**يوما على حرمانه بضنين**

**هكذا ينهج شاعرنا نهج المواساة – كما قلنا – وهو نهج – للحق – حبيب إلى نفسها قريب قريب من اوتار حسها اذ انه بلا شك هو الطابع الذى طالما مارسته ازاء ابنها المحبوب المفجوعة فيه فان لها ان تصبر وان تقر عينا والا تقول الا ما قالت الخنساء فى ابنائها ارجوا ان يجمعنى الله بهم فى مستقر رحمته**

**اما نهج الرفاعى فقد اختلف اذ انع اثر ان يرسم لوحة بريشة الشاعر المرهف لام ثاملة تندم على فتاها الذى نسجت منه الامال فذا بها تنقض وتمنته فارس أيامه وباني أحلامها فذا هو قد صار إلى ماصار اليه**

**واذا سمعت نشيج امى فى الدجى تبكى شبابا ضاع فى الريعان**

**وتكتم الحسرات فى اعماقها ألما تواريه عن الجيران**

**فاطلب اليها الصفح عنى اننى لا ابتغى منها سوى الغفران**

**مازال فى سمعى رنين حديثها ومقالها فى رحمة وحنان**

**ابنى انى قد غدوت عليلة لم يبق لى جلد على الاحزان**

**فاذق فؤادى فرحة بالبحث عن بنت الحلال ودعك من عصيانى**

**اننا نحس بريشة الرفاعى وهو يرسم لوحة الام الثاكلة وقد ارتجفت فى يدجه واصطك المداد ببراعته وتحس بالكابة المشفقة تعلو اسارير وجهه ولكنها هى الحقيقة وقد عبر عنها كأصدق مايكون تعبير اسان شاعر مؤمن عن الحقيقة انه الصدق الذى يهدى الى البر والبر الذى يفضى الجنة**

**هناك حقيقة علوية ما جهلها شعراؤنا وما كانو ليستطيعوا انها تلك الحقيقة الربانية التى تعد بالعاقبة السمحة للمؤمنين والانتصار النهائى والتمكين فى الارض لقد ترسخ هذا الوعد القرأنى الجازم فى أكنة قلوبهم وتشربته انفسهم فكانوا به من الناطقين**

**ســاثار لكن لرب ودين وامضى على سنتى فى يقين**

**فأما الى النصر فوق الانان واما الى الله فى الخالدين**

**بينما يتخذ الشهيد الرفاعى فى حديث النفس – حقائق الطبيعة عنانا طيعا يسوق اليه هذا المعتى الجليل**

**انفاسك الحرى وان هى أخمدت وقروح جسمك وهو تحت سياطهم**

**قسمات صبح يتقيه الجان ومع السجين هناك فى اغلاله**

**ومع السحين هناك فى اغلاله ودم الشهيد هنا سيلتقيان**

**ومن العواصف مايكون هبوبها بعد الهدوء وراحة الريان**

**ان اندلاع النار فى جوف الثرى امر يثير حفيظة البركان**

**وتتابع القطرات ينزل بعده سيل يليه ترفق الطوفان**

**فيموج يقتلع الطغاة مزمجرا اقوى من الجبروت والسلطان**

**اما شاعرنا الثالث " ذو النون " فيلتمس منهجه فى المواساة التى برع فيها أيما براعة**

**صبرا اخى فى محنتى وعقيدتى لا بد بعد الصبر من تمكين**

**ولنا بيوسف أسوة فى صبره وقد ارتمى فى السجن بضع سنين**

**غالب زمانك باليقين وبالرضا وعد ببطن الغيب شبه جنين**

**لا تيأسن من الزمان وأهله وتقل مقالة قانط وحزين**

**شاة اسمنها لذئب غادر ياضيعة الاعداد والتسمين**

**فعليك يذر الحب لا قطف الجنى والله للساعين خير معين**

**ثم تجيش نفس الشاعر بجيشان رائع من الايمان بانتصار الحق وتمكينه فكانه تنزيل من التنزيل وقبس من نور الذكر الحكيم**

**سنعود لدنيا نطب جراحها سنعود للتكبير والتاذين**

**ستسير فلك الصدق تحمل جنده وستنتهى للشاطىء المأمون**

**بالله مجريها ومرساها فهل تخشى الردى والله خير ضمين**

**هذه صورة مقتضبة لنماذج ثرة من شعر المحنة وقد قصر بنا ان نلم فى هذه العجالة بشتى زواياها ومناحيها ان اجلى ما نخلص اليه فى دراسة هذا الشعر هو صدق العاطفة الذى أضفى على التعبير الشعرى الصدق الذى طالما افتقدناه حتى قالت العرب " أعذب الشعر أكذبه " ولكن الدارس المتمعن فى شعر الدعوة لن يرى هذه القاعدة البشعة الا محض هراء وافتئات**

**ان شعر الدعوة جدير باهتمام الاساط الاسلامية انه زاد من زاد الدعاة واداة تحمل من الطاقات كل عجيب وهو انتصار للاسلام وانتصار للدعوة**

**بقلم / فيصل عبد العزيز**

**السودان**